العرب
الثلاثاء 2019/07/30
السنة 42 العدد 11423

ذات الحاجبين المقرونين تثير الجدل مرة أخرى

اكتشاف تسجيل صوتي لفريدا كاهلو يهز المكسيك حول صحة انتسابه إليها

في فيلم "فريـدا" للمخرجة جوليا تيمور الذي صـوّر الحياة التراجيدية الصاخبـة المؤثرة للفنانة المكسـيكية فريدا كاهلو (قامت بالدور سـلمى حايك)، التي خلّفت وراءها تراثا تشكيليا رائعا، وملامح حياة تجسد مقدار الوجع والقلق والمعاناة الذي لف سـنوات عمرها القليلة، الأمر الذي جعل من الراحلة أيقونة الفن التشـكيلي المكسيكي، وهي الغامضة، والجامحة والفريدة كاسمها "فريدا" إن عرّبناه طبعا، يأتينا اليوم أول تسجيل صوتي محتمل للرسامة المكسيكية (1907–1954) أثار الجدل مرة أخرى حول مدى انتسابه إليها من عدمه.

مربكة في الحياة وفي الممات

أندريا سوسا كابريموس

مكسيكو سيتي – عُرفت فريدا كاهلو كفنانة عاشقة لخرق القواعد، وكمناضلة شيوعية وزوجة لفنان الجداريات دييغو ريبيـرا، كما عُرفت كذلك كأيقونة الحركة النسـوية، إلاّ أن أحدا لم يتخيلها تخرج علينا بصـوت رقيق حالـم كمذيعة. لذا تسـلل إلينا الشـك عندما أعلنت المكتبة الوطنيـة للموسـيقى والصوتيـات في المكسـيك، التـي تحتفظ بالتسـجيلات الصوتيـة وتفهرسـها، عن وجـود أول تسـجيل صوتـي محتمـل للرسـامة المكسـيكية (1907–1954) والـذي جـاء مثاليا للغاية.

> شبح الرسامة المكسيكية يثير الجدل مرة أخرى بسبب اكتشاف اسطوانات لها مسجل عليها برنامج إذاعي منسوب محتواه إليها

يقول أرتـورو إسـترادا إيرانديث، أحـد التلامـذة السـابقين لكاهلو وأحد أعضـاء مجموعـة "لـوس فريـدوس" أو "المنتمـون لفريـدا"، "ليـس صوتها بالطبـع". ولـم يتعـرف عليهـا آخرون ممن تعاونوا في السـابق مع ريبيرا، في مقدمتهم الرسامة رينا لاثو (1886–1957).

نرى فريـدا المزعومة وهـي تتحدث خلال برنامج إذاعـي لمحطة "دبليو" في مكسـيكو سـيتي، بصوت رخيـم منغم وموح، نصا عـن ريبيـرا، وهـو نص صاغته بيديها كي يكـون ضمن كتالوج معرضها لعام 1949.

بين الشك واليقين

بعـد أن اسـتمعت إليـه ممثلـة المسلسلات الإذاعية والدبلجة المخضرمة أمبـارو جاريدو، والتـي كانت تعمل في تلك الفترة في ذات المحطة الإذاعية، قالت "شـعرت أنه صوتـي". وقـال آخرون إن الصوت يمكن أن يكون لمترجمات فوريات راحـلات أمثـال إيفانخلينـا إليثوندو وكارمن مانثانو.

ومن جانبه صرح بافيل جرانادوس، مديـر المكتبـة الوطنيـة للموسـيقى والصوتيات بالمكسـيك، متشككا "بالرغم مـن كل شـيء لا يمكـن لي أن أسـتبعد نهائيـا فكرة أن يكـون الصوت لكاهلو"، مشـيرا إلى أنه بصدد إجراء مناقشـات مع بعـض الباحثين لعقـد مقارنات بين شخصيات تلك الحقبة، فهناك الآن حاجة إلى إجـراء دراسـة مقارنة. ويسـتطرد جرانادوس، قائـلا "لدينا ما بين 15 و20 مذيعـة أو معلقـة إذاعة من خمسـينات القرن الماضي كن قريبات من عالم الراديو والإذاعة آنذاك، وفي حال إن لم تكن فريدا إحدى هؤلاء الفنانات والممثلات سيتسع أمامنا مجال الشك بصورة أكبر".

ويحتفظ بهذا الشـريط في قبو داخل مقـر المكتبـة الوطنيـة المكسـيكية، مع التحكـم في درجـة الحـرارة والرطوبة. وهـذا القبـو هو عبـارة عن منـزل من الجدران الحمراء التي تعود للقرن الثامن عشر في حي كويواكان بالمكسيك، تحديدا العاصمة مكسـيكو سـيتي، حيث توجد الآلاف من الوثائق الصوتية على الأرفف المتحركة والتي يمكـن للعاملين هناك أن يقوموا بلمسها فقط عن طريق القفازات.

وينفي جرانـادوس فرضيـة إقدامه على تقديم التسـجيل الصوتي للصحافة في الثاني عشـر من شهر يونيو الماضي باعتبـاره "الصـوت المحتمـل لفريـدا" فـي حضور وزيـرة الثقافة المكسـيكية، أليخاندرا فراوستو، دون التأكد من ذلك. ووفقا لما يصفه جرانـادوس، ففي خلال البرنامج المعني بالنقاش، يقوم أشخاص مختلفـون بالحديث عن ريبيرا ونسـمع صوت فنـان الجداريات وهـو يغني في إحدى الحفلات، أما كاهلو –أو التي زُعم بأنها كاهلو– فتقـوم بقراءة نص يصوّر فنان الجداريات بأنه "طفل ضخم وهائل ذو وجه ودود ونظرة حزينة".

والقاعـدة الرئيسـية التـي يُسـتند إليهـا في إمكانية الجـزم بكون الصوت لكاهلو هي عبارة استكمالية قالها ألفارو جالفيـث إي فوينتس، مقـدم البرنامج، جاءت بمثابـة توثيق صوتـي هام لتلك الحقبة (1918–1975)، حيث يقول جالفيث الملقب بالثرثار "هذا الصوت الذي لم يعد موجودا معنا سـوى في ديمومة كلماته، هو صوت فريدا كاهلو، هذا الصوت الذي قادنا إلى طفولة الرسامة البعيدة".

وقـد تم تسـجيل ذلـك البرنامـج التجريبـي ما بـين عامـي 1955 و1957، وبحلـول ذلـك الوقـت كانـت كاهلو قد وافتها المنية، إلاّ أن جرانادوس أشار إلى إمكانية الاسـتعانة بالصوت من تسجيل سـابق. والتحليـل والتفريـغ الرقمـي للتسـجيل الصوتـي هو نتاج لدراسـة. وقال كذلك "أعلم جيدا أن ما قيل يمكن أن يتم تفسـيره بطرق كثيرة، من الممكن أن يكون قولا مجازيا أو كناية أو اسـتعارة ومن الممكـن أيضا أن لا يكون كذلك". أما الصندوق الذي يحوي الشـريط فيقع في العمق فـوق أحد الأرفـف الطويلة بقبو المكتبـة الوطنيـة، حاملا عنـوان "الملف الصوتـي لدييغو ريبيـرا" وبطاقة ذات جوانب حمراء عليها أسماء فريدا كاهلو والرسام دكتور ألت.

حياة قاسية كصوتها

عندما توفيت فريـدا كاهلو، عن عمر سبعة وأربعين ربيعا، عام 1954 لم تكن قد اشـتهرت بعد، فلم تكن شاركت سوى في بعـض المعارض إلاّ أنهـا جذبت الانتباه منذ ذلـك الحـين بشـخصيتها وطريقة لبسها.

ومـرت الفنانـة بحياة قاسـية، فقد عانـت فـي صغرها مـن شـلل الأطفال وتعرضت في مراهقتهـا لحادث مروري خطير عـام 1925 حطم عمودهـا الفقري إلـى ثلاثـة أجـزاء والتـي ظلـت آثاره وتبعاته ترافقها إلـى الأبد. وعليه قامت بإجـراء عمليات جراحيـة كثيرة انتهت ببتر إحدى ساقيها من أسفل الركبة.

وكانت لكاهلو علاقات غرامية عديدة مع رجـال ونسـاء، إلى جانـب علاقات أخرى مع الزعيم الثوري الروسـي ليون تروتسكي في منفاه بالمكسيك، وعلاقتها الصعبـة مـع ريبيرا والتـي تطلّقت منه ثم عـادت للـزواج منه في مـا بعد. ذاع اسمها بعد أن قامت الحركة النسوية في الولايات المتحـدة الأميركية بفرضه على الساحة مع بداية العقد السابع من القرن الماضي وبعد أن نشـرت الأميركية هايدن هيريرا سيرتها الذاتية عام 1983.

وفـي هـذا الصـدد يؤكـد بافيـل جرانـادوس، قائلا "سـواء كان الصوت لهـا أو لم يكن، إلاّ أنني آمل أن يكون هذا النقاش قد ساعد في سقوط صورة فريدا التي وضعتها في قالب رجولي لأنها على العكس مـن ذلك فقد كانت امرأة غاية في الأنوثة"، مشيرا إلى ذلك بقوله "كانت لها علاقات حب مع نساء ومن ثم تم تقديمها في كليشـيهات على أنها ذكر، فنحن من قمنا بعمل هذا النسـج الثقافي، بينما يقول الأشـخاص من حقبتها التاريخية إنهـا كانت تمتلك صوتـا نوعا ما حادا، دافئا، بلوريا وشبابيا".

ويعـرب جرانـادوس عـن ثقتـه في مسـارعة المزيد من الأشخاص بتقديم ما لديهم من مواد للعثور على صوت كاهلو قبل أن يفوت الأوان وتتلف التسجيلات. فتحتـوي المكتبـة الوطنية للموسـيقى والصوتيـات في المكسـيك على ما يقرب من 1300 شـريط واسطوانة من مجموعة "الثرثـار"، تم تحليل حولـي 300 أو 400 فقط وتحويلها إلى النظـام الرقمي، كما تحتفـظ بنات الصحافي جالفيث بوثائق أخـرى خاصـة بوالدهـنّ مـن كتابـات ومذكـرات وجـداول أعمـال ونصوص للبرامج من شـأنها أن تضيف المزيد من المعلومات.

كان هـذا الشـريط عتيقـا وفي حالة باليـة وكان يجـب ترميمه، وتشـحيمه وتليينـه، يمكننـا القـول إنـه شـريط ظهـرت عليه بقـوة علامـات التحلل من الدرجـة الأولـى وهـي كفيلـة بالقضاء على أي شـريط تسجيلي، لذا يرى بافيل جرانادوس أنـه إذا كانت هناك رغبة في دراسـة مـا تبقى من تسـجيلات خاصة بتلـك السـنوات والحفـاظ عليهـا، فإن الأمـر يسـتوجب تحويلها إلـى النظام الرقمـي في أسـرع وقت ممكـن، ويقول "نحن بصدد سـباق مع الزمـن"، مضيفا "أما صوت فريدا كاهلو فهو بمثابة شبح نقوم بمطاردته ولا نعلم إذا كان له وجود على الشبكة التي تحيط بنا أم لا؟".

ومحور أعمال الرسـامة المكسـيكية كان دائما "الواقع والقدر"، إذ نبع ذلك من تجربتها الخاصة في المعاناة التي جعلت من تجربتها الخاصة مدرارة للخيال، ولم يكن ذلك إلغاء للواقع للوصول إلى مملكة الخيـال، إذ أن لوحاتهـا كانـت واقعية قابلـة للفهم غيـر مسـتعصية الإدراك، وفيهـا الكثير من التوثيقيـة والتقريرية وواضحة حتى للمشاهد البسيط.

اختتام سامبيزيوم الجم بعيدا عن مظاهر الفرح إلاّ من حرارة الضوء التونسي

بعيـدا عن كل مظاهر الفرح، بعد إعلان تونس الحداد الوطني لمدة سـبعة أيام، إثر وفاة رئيس الجمهورية التونسـية، محمد الباجي قائد السبسي، الخميس، تم، مساء الأحد، بمدينة الجم التونسية اختتام سامبيزيوم ملتقى "تيسـدريس الدولي للفنون البصرية" في نسـخته الثانية، وذلك بمشاركة أكثر من أربعين فنانا وفنانة من تسع دول بين عربية وأجنبية.

صابر بن عامر
صحافي تونسي

الجم (تونس) – حدادا على وفاة رئيس الجمهورية التونسـية، محمـد الباجي قائد السبسي في الخامس والعشرين من يوليو الجاري، تم، مسـاء الأحد، بمدينة الجـم التاريخية (وسـط تونس) اختتام فعاليـات ملتقـى "تيسـدريس الدولـي للفنـون البصرية" فـي دورتـه الثانية، بعيدا عن كل المظاهر الاحتفالية المعتادة من السامبيزيوم التونسي الدولي للفنون البصرية عـدا حرارة الضوء التونسـي الـذي أتـى العنـوان الأبـرز للمعـرض الختامي للورشات، والذي تحوّل كما كان مُبرمجا له من مسـرح قصر الجم الكبير، أو تيسـدريس كما كان يُسمّى في العهد الرومانـي، إلـى نزل "قصـر الجم" أحد الرعاة للملتقى.

والملتقـى الذي ضم أكثـر من أربعين فنانـا وفنانة من تسـع دول هـي: ليبيا والجزائـر والعـراق ومصـر وروسـيا وفرنسا وإيطاليا وأوزباكستان وتايوان، وطبعا تونس البلد المنظم، اختتم دورته الثانيـة بصمـت مقـدّس ليتـرك المجال فسـيحا للألوان والخربشـات التي أتت مُحتفيـة بالضوء التونسـي الحار الذي طبع كل الأيقونات المُنجزة في اتفاق غير مُسبق بين جميع المُشاركين، ما يُحيل إلى اسـتمرارية الحياة في بلد يقدّس الحياة رغم الموت/ الفاجعة لرئيس البلاد.

والفـرح الصامت، أتـى جامحا على صهـوة حصـان طائـر بألـوان حمراء مُتدرجّـة عن اللون وتفرّعاته، علاوة على الألوان الترابيـة الدافئة التي تُحيل إلى حجـارة قصر الجم، جاءت كلها مُتّسـقة مع شعار الملتقى في دورته الثانية "سحر الألوان بين أحضان الحضارة"، حضارة بـلاد بابل القديمـة في تماه سـلس مع حضارة تونس الثلاثة آلاف سنة ثقافة.

"بـين حضارتـين"، هو رسـم للفنان العراقـي نبيل علي الذي مـازج فيه بين ثقافة بلاد سومر أو بلاد ما بين النهرين، وقصر الجم الكبير الذي كان مسرحا في العهـد الرومانـي لمصارعـات الوحوش ومعارك المصارعين وسـباقات العربات، حيث كان الشـعب والنبـلاء الرومانيون يجلسون لمشاهدة تلك الاستعراضات، إلاّ أن علي جعـل من القصر خلفية لحصانه الأحمـر الجامـح الراكـض دون هوادة نحو أفق جمالي أساسـه اللون ومنتهاه الضوء المشرقي الحار.

بدورها رسـمت الفنانة التشـكيلية الإيطاليـة أنيتـا مونوسـكالوكو، وهي أصيلـة العاصمة روما، وجهـان لامرأة كادت أن تكـون واحـدة، لـولا ما تحمله يـد كل منهمـا، الأولى خنجـر والثانية عصفـور، في اسـتحضار ربمـا للحرب الضروس التي دارت في الزمن الغابر بين روما وقرطاج والتي راح ضحيتها الآلاف مـن الجانبين، لتأتي ابنة روما اليوم إلى تيسدريس الجم، البناء الأصغر والرديف لكولوسـيوم روما لتعلن من تونس سلام الشجعان الأبدي.

والقصـر الكبيـر بالجـم أتـى فـي أكثـر من رسـم لفنانـي الملتقى سـواء مـن تونس أو مـن خارجها، حيـث قدّم الفنـان الليبـي عبدالقـادر رمضان بدر لوحة سـريالية، بتقنية انسيابية تحيل ألوانها إلى القصر وحجارته وحضارته، وربمـا للدماء التي سـالت فيه حين كان المتجالدون يتصارعون عنوة مع الأسـود الضارية إرضـاء لصلف الحاكم وإمتاعا لجنون الرعية.

بين حضارتين (لوحة للفنان العراقي نبيل علي)

وغيـر بعيد عـن القصـر أيضا، لكن مـن خـلال النوافـذ المطلة علـى الحلبة ترسـم الفنانة التونسـية فطيمة سامي بطريقتها الأشـبه بالتكعيبيـة، وما هي بتكعيبية، إشـعاع اللون على الفتحات/ النوافـذ بتدرّج لونـي للأخضر والأحمر والأصفـر حينا والترابـي دائما، وكأنها تهجّينا ألف باء التكوين اللوني للألوان السـابقة الذكر، والراسـخة في الذاكرة المُتأصلة للفنانـة التونسـية المقيمة منذ أزيد من عشـرين عامـا بلبنان، مهد الحضـارة القرطاجنية الوافدة من صور الفينيقيـة، وكأنها تُعيد التاريخ بشـكل مُخالف، فعليسـة اقتحمـت قرطاج، آتية من صـور لتؤسـس "قرط حدشـت" أو العاصمـة الجديدة عصرئـذن، وفطيمة، ابنة الآن وهنا وهناك كذلك، عكست الغزو نحو صيدا الجنوب اللبناني، مُعلنة كما صرّحـت لـ"العـرب" أن "فرعنـا واحد، وأملنـا واحد: الضوء، الفـن والانتصار للحيـاة حتـى ونحن في أحلك سـاعات الحـزن التونسـي بفقدنـا لأول رئيـس جمهورية ثانية مُنتخب بتونس المجد".

وكـم شـبيه الماضي بالآتـي حقيقة، والحال أن القصر الذي كان في ما مضى حلبـة للصراعـات الدموية بين البشـر والوحـوش أصبـح منذ أزيد مـن ثلاثة عقود خشبة لأشهر الفنانين والموسيقيين العالميين، حيث ازدادت شـهرته منذ سنة 1986 عندمـا قرّر، محمد الناصر، الرئيس المؤقـت للجمهوريـة التونسـية خلافـا للرئيـس الراحـل محمـد الباجـي قائد السبسي، وهو أصيل مدينة الجم إنشاء أول مهرجان للموسيقى السيمفونية في تونـس يقام سـنويا في القصـر الكبير الـذي اسـتضاف ولا يزال عدة أسـماء عالمية، على غرار المغنية الأميركية الملقبة بـ"الديفـا" باربرا أندريكس والموسـيقي الإيطالي الشهير ريكاردو موتي.

شهلة سومر

سحر الألوان بين أحضان الحضارة لا يزال حاضرا في تونس، رغم الفاجعة

وإن توقّفـت عروض المسـرح الكبير بالجم إلـى حين، إثـر الرحيـل المُفاجئ للرئيس التونسـي محمـد الباجي قائد السبسي، فإن "سحر الألوان بين أحضان الحضارة لا يزال حاضرا وبقوة في الجم ومـن خلالها تونس، بمـا تركه الفنانون المُشـاركون مـن أيقونـات وجماليـات فـي ملتقى تيسـدريس الدولـي للفنون البصريـة في دورتـه الثانيـة، على أمل دورة ثالثة أكثر ألوانا وإشراقا وجمالا"، وفـق ما صرّحـت به الفنانة التشـكيلية التونسـية، ومنّسـقة المهرجـان شـهلة سومر لـ"العرب" في ختام الأيام.